

30

قصة ملهمة

للمعلمين والمعلمات



لا وجود للأغبياء

يُحكى أنه في قريةٍ صغيرةٍ نائية وصلتْ رسالةٌ من وزارة التعليم إلى إدارة المدرسة أن مفتشًا من الوزارة سيأتي لزيارتها، وفي اليوم الموعود انطلقَ المفتشُ بسيارته ولمّا صار عند أول القرية تعطلتْ سيارته، رفع غطاء المحرك ووقف عاجزًا لا يعرف أين العطل فضلًا أن يستطيع إصلاحه لو عرفه، وبينما هو على هذه الحال مرَّ به طفل صغير في العاشرة من عمره وعرض عليه المساعدة.

قال له المفتش : وما أدراكَ أنتَ بأعطال السيارات ! فردّ الطفلُ : أبي ميكانيكي وأنا أساعده أحيانًا، قد أستطيع إصلاحها ! خلّى المفتشُ بين السيارة والصبي، وما مضتْ عشر دقائق إلا والصبي يقول للمفتش: سيدي أدِرْ سيارتك ! وكم كانت دهشة المفتش عظيمة حين اشتغلت السيارة،

شكر المفتش الصبي ثم سأله: لماذا أنتَ لستَ في المدرسة؟ فقال الصبي: اليوم سيزور مدرستنا مفتش من الوزارة وقد أمر مدير المدرسة كل الطلاب الأغبياء بعدم الحضور !!

البشر يتفاوتون في قدراتهم الذهنية والعقلية، هذه حقيقة لا سبيل لإنكارها، فالعقول كالمال؛ أرزاق مقسومة، وابن سينا معجزة الطب البشري على مرّ العصور كان عبقريًا في الكيمياء أيضًا، والخوارزمي كان ضليعًا في علوم أخرى غير

الرياضيات، ودافنشي صاحب الموناليزا راسخ في أشياء كثيرة غير الرسم، وعباس بن فرناس قدّم للبشرية أكثر من فكرة الطيران، ونيوتن كشف عن أشياء كثيرة غير قانون الجاذبية،

والخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض كان أستاذ سيبويه في النحو أيضًا ! وبعض الناس لا ينبغ إلا في علم واحد لا يكاد يعرف شيئًا في علم غيره، فلا يقلل هذا من قيمة نبوغه، والبعض ليس له في العلوم ناقة ولا جمل !

إحدى مشاكل البشرية المستعصية أنهم يقيسون النبوغ بالعلامات المدرسية ! وهذا أحد أتفه المعتقدات البشرية على الإطلاق، فأحيانًا تكون المدارس مجرمة بحق طلابها وليس أدلّ على هذا من قصة أديسون الذي فصلته المدرسة بسبب غبائه، وهو الذي اخترع الضوء الكهربائي فيما بعد.

الذكاءات متنوعة، هذا ما نعرفه جميعًا ولكننا ننكره ! المتنبي لم يكن يعرف في الفيزياء أكثر مما يعرفه طالب عادي ! وبشار بن برد كان يصف الأشياء كأنه يرى ! مايكل شوماخر يكره الرياضيات ولكنه كان يصل أولًا ! وبوكوفسكي كان ينام في حصة الأحياء ولكنه كان يكتب بمهارة ! وشارلي شابلن أضحك الملايين دون أن ينطق بكلمة واحدة !

إن فشل إنسان في الدراسة الأكاديمية لا يعني أنه غبي، هذا يعني أن هذا المجال ليس مجاله، وأن له سباقًا آخر في الحياة إن

لم نكتشفه فيه ونحضه عليه ونيسر له الطريق ليمشي فيه هو عجزنا نحن وليس عجزه هو، وفي هذا يقول آلبرت آينشتاين:

كل إنســـان هو عبقري بشـــكل أو بآخر، المشـــكلة أننا نحكم على الجميع من خلال مقياس واحد، فمثلاً لو قيّمنا سمكة من خلال مهارتها في تســـلق الشـــجرة، ستمضى السمكة بقية حياتها معتقدة أنها غبية !

□

أتمنى لو معلمتي عرفت !!

رأت المعلمة الأمريكية (كايتي شـــوارتز) في مدرســـة بمدينة (دنفر) في ولايـة (كلورادو) أن هنـاك فجوة كبيرة بينهـا وبين طلابها الصــغار، فأطلقت مشــروعاً صــغيراً بعنوان: (أتمنى لو معلمتي عرفت) يرتكز هذا المشــروع على تســليم طلابها ورقة معنونة بســؤال: (ماذا تريد أن أعرف عنك؟) فصـــدمت المعلمة بالإجابات التي تلقتها.

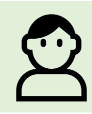
أحـد الأطفـال يقول: (أتمنى لو معلمتي عرفت أنني لا أملـك أصــــدقاء ألعب معهم)، وآخر يقول: (أتمنى لو معلمتي عرفت كم أشــــتاق إلى أبي، أذهب إلى غرفته كل يوم ولا أجده ولن أجده فقد رحلوه إلى المكســيك نهائياً وســأظل بلا أب)، وثالثة كتبت: (أتمنى لو معلمتي عرفت أنني لا أملك أقلام رصـــاص في المنزل حتى أؤدي واجباتي الدراسـية)، وكتب رابع: (أتمنى لو معلمتي عرفت أن شـــقيقتي كفيفة وأقوم بمســـاعدتها طوال اليوم)، أما إحدى الطالبات فقد ردت على ســـؤال المعلمة قائلة: (أتمنى لو معلمتي عرفت أن أمي وأبي يتشـــاجران طوال اليوم، أكره العودة إلى المنزل، وأكره الذهاب إلى المدرسـة أيضـاً، لأني سأحاسب على دروس لم أذاكرها وواجبات لم أقم بها)

كانت إجابات الطلاب العفوية والصـــــادقة مفتاحاً للمعلمة لتكتشـف جوانب خفية ومخبوءة في حياة تلاميذها، سـاعدتها على مساعدتهم وعودتهم تدريجياً إلى فصولهم، وقد شرعت في حل كل مشـــــــكلة على حدة، فزارت منازل طلابها وبدأت في معالجة ما يمكن معالجته، والأهم من ذلك كله أنها بدأت تفهم عقلية وخلفية طلابها جيداً، وفي ضـــــــوء ذلك قامت بمعاملتهم وتوزيع واجباتهم بناء على ظروفهم وتحدياتهم بشكل يجعل المدرسة عاملاً مسانداً لا عبئاً عليهم.

مشـــــــروع المعلمة (كايتي) انتقل إلى كثير من المدارس، وتم تطبيقه بشـــــكل ممنهج ومؤســـــس انعكس على أداء الطلاب والمدارس معاً، بل امتد إلى المجتمعات المحيطة؛ لأن كل هؤلاء الطلاب جزء من مجتمعهم الأكبر.

ليســت مدارســنا فحســب التي تحتاج إلى تبني هذه الفكرة الجميلة التي تردم الهوة بيننا وبين الآخرين ، بل كل مجتمعاتنا.

□

يا معلمي: ادع لي !! 

في أحد الأيام طلب تلميذ من معلمه فقال له: (ادعي لي)، فقال له المعلم: ذكّرني لأدعو لك، فذهب الطّالب ولم يفهم مرادَ المعلم، وفي الدّرس التّالي أيضاً قال الطّالب للمعلم: (ادعي لي)، فقال المعلم مثلما قال له في المرة السّابقة: ذكّرني لأدعو لك.

لم يفهم التلميذ مراد معلمه، وكرّر ذلك عدّة مرّات، والمعلم يكرّر له العبارة، ولا يدعو له !! حتّى خرج الطّالب عن سكوته وقال: يا أستاذي: أنا أُذكّرك دائمًا، فقال له الشّيخ: لا ! أنتَ لا تذكّرني، بل تؤنّثني، تقول: ادعي لي !! ولو ذكّرتني لقلت: ادعُ لي، وعندها سأدعو لك، هكذا علّم الأستاذ طالبه درساً عملياً في اللغة العربية لن ينساه أبداً.

👌 ادعُ: فعل أمر للمذكر مبني على حذف حرف العلّة (تدعو)، ادعي: فعل أمر للمؤنث مبني على حذف النون (تدعين)، والصواب أن نقول للفرد المذكر (ادعُ لي) وللفرد المؤنث (ادعِ لي)، ومثلها خطأ شائع (اللهم صلي على نبينا محمد)، والصحيح ألا نكتب (صلي) بالياء بل تكون (صلِّ) بدون ياء مع جر اللام بالكسرة.

المدير والمعلمين الثلاثة

استدعى مدير المدرسة ثلاثة مدرسين، وأخبرهم بأنهم كانوا من أفضل الأساتذة بالمدرسة بالعام الماضى، وأمرهم بالاستعداد للتدريس لثلاث فصول يحتوون على أنبغ تسعين طالباً فى المدرسة، وهم الأوائل فى اختبارات الذكاء والفهم والتحصيل، كل فصل يحتوى على ثلاثين طالباً فقط، ولكنه شرط عليهم ألّا يخبروا الطلبة بهذا على الإطلاق، كى لا ينزعج أولياء أمورهم، أو أولياء أمور الطلبة الآخرين.

بدأ العام الدراسي و انتهى ليجد أن نتائج اختبارات هؤلاء الطلبة فى الفصول الثلاثة كانت أعلى من غيرها على مستوى المدرسة، بل إنها تفوقت بنسب من 20-30٪ أكثر من المستوى العام لمدارس المنطقة جميعها، وعندما سأل المدير الأساتذة عن وجهة نظرهم وتحليلهم للوضع، أجمعوا على أنها كانت تجربة رائعة جداً، وأن ما سهّل عليهم ذلك هو أن الطلبة كانوا رائعين ومتفوقين وأنهم لم يبذلوا معهم الكثير من الجهد.

هنا فاجأهم المدير بقوله: اسمحوا لي أن أخبركم الحقيقة، لقد تم اختيار التسعين طالباً بشكل عشوائي من ضمن طلبة المدرسة، فهم ليسوا فى قمة الذكاء كما أخبرناكم ! فانبهر

المدرسون وقالوا: إذن، هل نحن السبب خلف نجاح الطلاب بهذا الشكل؟ فقال لهم المدير: الآن اسمحوا لي أن أخبركم الحقيقة الثانية، وهي أن أسماءكم لم يتم اختيارها إلا عندما كتبت كل أسماء المدرسين العاملين بالمدرسة، وأغمضت عيني لأشير على ثلاثة أسماء منهم دون تحديد، وكنتم أنتم أصحاب الأسماء المختارة! قالوا له: إذن فما السبب في تفوق الطلاب؟ قال لهم: السبب هو أنكم بنيتم توقعكم فى بداية الدراسة على معلومات جعلتكم تتوقعون نجاحاً فائقاً، فحققتم النتيجة بناءً على هذا التوقع، بالرغم من عدم صدق المعلومات نفسها!

ما نخرج به من هذه التجربة عدداً من النصائح منها: أنت نتاج ما تفكر فيه وما تتوقعه، والطلاب كذلك، وما تؤمل أن تحققه هو ما سيحدث لك بإذن الله تعالى، وهذا يدقعنا إلى ترك النظرة الدونية لطلابنا ولأنفسنا، وأن نؤمل الخير فيهم دائماً، ونعمل وفق ذلك.

□

الدرجات والحياة الواقعية

يقول بيل غيتس: رسبتُ في بعض المواد في الجامعة، فيما نجح صديقي في تخطيها كلها، صديقي الآن مهندس في شركة مايكروسوفت، أما أنا فأملك الشركة !

في الحقيقة هذا قول قديم لبيل غيتس، ولم أنبشه الآن لأخبركم أن الرجل قد غيَّر أقواله، وأنه يتمنى لو كان تخطى كل مواده الجامعية ويصبح مهندساً في مايكروسوفت بدل أن يرسب في بعض المواد ويكون مالك الشركة ! وإنما نبشته لأخبركم أنه يوم قال هذا القول طار الناس به وأخذوا يتناقلونه في سياق: "بللوا شهاداتكم الجامعية واشربوا ماءها" بيل غيتس شخصياً كان يرسب !

الأمر نفسه يتكرر اليوم، فقد تم الكشف مؤخراً أن الراحل ستيف جوبز المدير التنفيذي السابق لشركة آبل حصل على معدل تراكمي "2.5" أثناء تعليمه السنوي ! وأيضاً طار الناس بها، وهم يتناقلونها في سياق: لتنفعكم المعدلات التراكمية العالية، ستيف جوبز شخصياً كانت علاماته متوسطة !

شخصياً أرفض وزن الناس بعلاماتهم الدراسية، وأعترف أن النجاح في الجامعات شيء والنجاح في الحياة شيء آخر، ولكن بالمقابل أرفض فكرة الاستهتار بالتفوق والتميز والإتيان بأمثلة

نادرة وضـئيلة تحدث كل مئة سـنة مرة واحدة لإثبات فكرة أن المتفوقين في الجامعات فاشـلون في الحياة ! وإذا كان أصـحاب هذا التوجه يحتجون ببيل غيتس وستيف جوبز فمن السهل أن نقول لهم حسناً كم عدد الذين رسبوا في الجامعات وأصبحوا يملكون شـركات كمايكروسـوفت، وكم عدد الذين كانت معدلاتهم التراكمية متوسـطة واسـتطاعوا تحقيق ما حققه ستيف جوبز ؟!

القياس على حالات نادرة وجعلها قواعد عامة للحياة خفة عقل، كالذي يرى صـديقاً له قد طلق زوجته فصـار أكثر سعادة، فخرج بقاعدة إذا أردتَ أن تسعدَ طلقْ زوجتك ! لا أنكر أن أشخاصاً يصبحون أسعد بعد الطلاق ولكن الملايين تصبح حياتهم جحيماً بعده فلماذا نعمم الواحد على الكل، بدل أن نقول أن لكل قاعدة شواذ ؟!

لا أريد أن نقدس العلامات الجامعية وبالمقابل لماذا علينا الاسـتهتار بها، وهذا يحدث أغلب الأحيان لتبرير الفشـل في تحصيلها ! والشيء بالشيء يُذكر فإن جيف بيزوس مؤسس شـركة أمازون والذي صـُنِّف مؤخراً كأغنى رجلٍ في العالم بثروة تقدر بمئة وأربعين مليار دولار متخرج من جامعة برنستون بامتياز مع مرتبة الشرف !

صـــحيح ما يقوله أصـــحاب فكرة التقليل من شـــأن العلامات والشـــــــهادات أن ١١٪ من أثرى أثرياء العالم لم يتخرجوا من الجامعة، ولكنهم بالمقابل لا يقولون أن ٤٥٪ منهم تخرجوا من أفضل الجامعات في العالم !

لا الرســـــوب في الجامعات عامل في تحقيق النجاح والثروة، ولا النجاح والتفوق عائق، كل هذا عائد إلى شـــخصـــية الإنســـان، وفهمه للحياة، ومغامرته، واستثمار قدراته، أما أن نزرع في أذهان هذا الجيل أن العلامات الدراســـية والتفوق حبر على ورق فهذا استهتار وسطحية ليس إلا !

□

طالب يلبس ثوبه أخيه

فتح المعلم منفعلاً باب الإدارة دافعاً بالطالب إلى المدير وقد كال له من عبارات السب والشتم الكثير قائلاً لرئيسه في العمل: تفضل وألق نظره على طريقة لبسه للثوب ورفع أكمامه.

الطالب يكتم عبراته والمدير يتأمل مندهشاً في الموقف، المعلم يخرج بعد أن سلم ضحيته للجلاد كما يظن، تأمل المدير ذلك الطفل، نظر إلى طريقة لبسه للثوب اللافتة للنظر، رآه وقد جر ثوباً وشمر كميه بطريقة توحي بأنه من أولاد الشوارع، قال له المدير: اجلس يا بني.

جلس الطفل متعجباً من موقف المدير، ساد الصمت المكان ولكن العجب فرض نفسه على الجو، المدير يتعجب من صغر سن الطالب والتهمة الموجهة إليه من قبل المعلم المتظاهر بالقوة، الطالب يعجب من ردة فعل المدير الهادئة رغم انفعال المعلم وتأليبه عليه، انتظر الطالب السؤال عن سبب المشكلة بفارغ الصبر حتى حان الفرج.

المدير: ما المشكلة؟

الطالب: لم أحضر الواجب.

المدير: ولم؟

الطالب: نسيت أن اشتري دفتراً جديداً.

المدير: ودفترك القديم؟

سكت الطالب خجلاً من الإجابة، ردد المدير سؤاله بأسلوب أهدأ من السابق، فلم يجد الطالب مفراً من الإجابة قائلاً: أخذه أخي الذي يدرس في الليل.

نظر المدير إلى الطالب نظرة الأب الحاني وقال له: لماذا تقلد الكبار يا بني، وتلبس ثوباً طويلاً، وتشمر كميك، قاطعته عبرات حارة من قلب ذلك الطفل طالما حبست وكتمت، ازدادت حيرة المدير، كان لا بد أن ينتظر حتى ينفّس الطفل عن بركان كاد يفتك بجسده ولكن ما أحر لحظات الانتظار.

خرجت كلمات كالصاعقة على نفس المدير: الثوب ليس لي، إنه لأخي الكبير، ألبسه في الصباح، ويلبسه في المساء إذا عدت من المدرسة، لكي يذهب إلى مدرسته الليلية.

اغرورقت عينا المدير بماء العين، تمالك أعصابه أمام الطالب وطلب منه أن يذهب إلى غرفة المرشد، ما إن خرج الطالب من الإدارة حتى أغلق المدير مكتبه وانفجر بالبكاء رأفة بحال الطالب الذي لا يجد ثوباً يلبسه، ودفتراً يخصه إنها مأساة مجتمع.

مؤلمة بمعنى الكلمة، كم يشــــتري أبناؤنا من دفاتر، وكم هي كثيرة الأثواب في خزائن أبنائنا، دائماً كنت أقول وما زلت بأن دور المعلم ليس كأي موظف آخر، المعلم مهمته أكبر من ذلك بكثير، ويا ليت كل المعلمين ينتبهون لهذا الأمر، فنحن لا نعرف ما يدور في البيوت.

□

احتسب لي بلنتي

د. عصام عبداللطيف الفليج

فتح المعلم ملف الطفل، وتفاجأ أنه كتب أمام اسـم الأب «متوفي»! وتبين لاحقاً ان والد الطفل قد توفي قبل دخوله المدرسة بشهر أثر حادث مروري – رحمه الله - وهذا الطفل اليتيم هو ابنه الأول.

كان الطفل يتمنى أن يشاركه والده تجربته المدرسية، فغيبته أقدار الله، وبلا نظريات علم النفس، فقد أرادني الطفل «أبا بديلا» أعوضه حنو الأب الذي غاب عنه.

غير ذلك الموقف مسار حياتي المهنية وعلاقاتي الانسانية، فبت أؤمن ان التربية قيمة ورسالة عظيمة، وزاد اهتمامي بهذا الطفل، وبدأت أعزز علاقتي معه بالملامسة والسلام ومسح الرأس، كيف لا وهو «اليتيم».

اعتدت في طابور الصباح ان أتفقد التلاميذ واحداً تلو الآخر، وبعد هذا الموقف اعتدت ان أقف بقرب هذا الطفل، وأصبحت أتابعه في اليوم الدراسي كاملاً، وأتفقده في جميع المواد.

نجح الطفل وانتقل للصف الثاني ابتدائي، وأذكر أنه كان يلعب كرة القدم في حصة التربية البدنية، فضربه أحد زملائه، انطلق باكياً، وتجاوز معلم الرياضة الذي كان يحكم المباراة،

ودخل غرفة المعلمين، واتجه لي ودموعه تسـيل من عينيه، وقال: فلان ضربني! فقلت له: ما له حق. فقال: قم احسب لي بلنتي!

فقلت: أبشـــــر، وخرجت معه إلى ملعب المدرســـــة، وأعلنت احتجاجي عند الحكم (معلم الرياضة)، وفهم الرسـالة، فامتثل لطلبي مشـــكوراً، وأخذ الصــــافرة وأعلن عن بلنتي بأثر رجعي لصغيري، سـدد صغيري الكرة، ودوت الصافرة التي سمعها كل من في الحي معلنة الهدف، وكنت أول من صفق بحرارة.

صـغيري الآن اجتاز المسـتوى الثالث في الجامعة، لن أنسـاك يا ماجد، فأنت بفضـل الله من ألنت قسـاوة قلبي، وعلمتني كيف يجب أن يكون ميدان التربية والتعليم ميداناً لكل ضمير حي.

أهدي هذه القصــــة الى كل معلم ومعلمة، اختاروا مهنة التعليم «الشـــريفة» سـواء لأجل الراتب، أو لأجل العطلات، أو لأي سـبب آخر، أن تكون لهم بصـــــمة في الأجيال المتعاقبة، اســـتشـــعاراً للمســــــؤولية، فبكلمة يعتز الطالب، وبكلمة يتحطم الطالب، وبابتســـامة ترتقين بطالبة، وبكلمة قاسـية تحطمين طالبة، وقد تعودون إلى البيت بلا هم ولا شـــعور بالأذى الذي ســـببتموه لهذا الطالب، ولكنكم بلا شـك سـتكونون سـعيدين مع كل ابتسـامة زرعتموها على شــــــفاه طالب وطالبة، ويجري الأمر على الإدارة المدرسـية بكافة مسـتوياتها واختصـاصـاتها، وأتمنى للجميع عاماً دراسياً موفقاً وميسراً.

هذا حالي أنا المعلم

الأديب: علي الطنطاوي

قلت لصديق لي أديب: إني لأقرأ لك منذ عشر سنوات، فما رأيتك أسففت إسفافك في هذه الأيام، وإني لأشك أأنت تكتب ما تكتبه، أم يجري به قلمك وأنت نائم، فتأخذه فتضع عليه اسمك؟ فماذا عراك أيها الصديق فأضاع بلاغتك ومحا آيتك؟

قال: دعني يا فلان دعني، فإن سراج حياتي يخبو، وشمعتي تذوب، وما أخالني إلا ميتاً عما قريب، أو دائراً في الأسواق مجنوناً، بعت رأسي وقلبي برغيف من الخبز.

قلت: أربع عليك أيها الرجل وأخبرني ما بك، فلقد والله أرعبتني.

قال: وماذا بي إلا أني معلم، إني معلم في مدرسة ابتدائية، نهاري نهار المجانين، وليلي ليل القتلى، فمتى أفكر، ومتى أكتب، وأنا أروح العشية إلى البيت مهدود الجسم، مصدوع الرأس، جاف الحلق، فلا أستطيع أن أنام حتى أقرأ مئة حماقة، وأصحح مئة كراسة، فأعمي عيني بقراءتها، والإشارة إلى خطئها، وبيان صوابها، وتقدير درجاتها، فإذا انتهيت من هذا كله — ولا يقرأ

تلميذ من كل هذا شــــيئا، ولا ينظر فيه - عمدت إلى دفتر تحضــير الدروس، وهو الموت الأحمر، والبلاء الأزرق، فكتبت فيه ما أنا فاعل غداً في الفصـــل، لحظة لحظة، وماذا أنا قائل من كلمة، أو مقرر من قاعدة، أو ضـــارب من مثل، حتى إذا بلغت آخر كلمة فيه، استنفدت آخر قطرة من ماء حياتي، فسقطت في مكاني قتيلاً، فحملت إلى الســـرير حملاً، فنمت نوماً مضـــطرباً تملؤه الأحلام المزعجة، فأحسُّ كأن أمامي ركام الدفاتر التي سأصححها غداً، فلا أنجو منها حتى أبصر المفتش يتكلم من فوق المآذن، فلا يدع قاعدة من قواعد التربية، ولا نظرية من نظريات التعليم ظهرت في فرنســا أو إنكلترا، إلا أرادني على تطبيقها، في فصل فيه سبعون تلميذاً قد حشيت بهم المقاعد حشـوا، وصـفوا على الشـبابيك، ووضـعوا على الرفوف، مما لا يرضــى عنه منهج من مناهج التربية، ولا قانون من قوانين الصحة، فإذا انمحت هذه الصورة، رأيت كأني أفهّم تلميذاً وهو يصغي إليّ ولا يفهم، فأكرر وأعيد فلا يفهم، فأقوم إليه أنظر ما يصنع، فإذا هو منصرف إلى دبيرة (زلقطة) يربط رجلها بخيط، فإذا شـــتمته أو أخرجته من الفصـــل، ذهب يســتنجد القانون فينجده القانون الذي حرم العقوبات كلها، وكفّ يد المعلم، ولا أزال في هذه الأحلام تنوء بي، فأتقلب من جنب إلى جنب، أحس كأن رأسي من الصداع بثقل أُحُد، حتى يصبح الله بالصباح، فأفيق مذعوراً أخشى أن يسبقني الوقت،

فلا أدري كم ركعت وكم سجدت، ولا كيف أكلت ولبست، وأهرول إلى المدرسة لا أستطيع التأخر ولو طحنتني الأوجاع، أو أحرقتني الحمّى، لأن المعلم لا يسمح له القانون أن يمرض في أيام المدرسة، وعنده أربعة أشهر (عطلة الصيف) يستطيع أن يمرض فيها، فإذا خالف ومرض، حرم الراتب ومنع العطاء (كان هذا قانون تلك الأيام)!

أغدو إلى المدرسة، فأدخل على تلاميذ السنة الثالثة الأولية، وهؤلاء هم تلاميذي، لم يجدوني أهلاً لأكبر منهم، فلا أنفك أقطع من عقلي لأكمل عقولهم، وأمزّق نفسي لأرقّع نفوسهم، ثم لا أفلح في تعليمهم ولا أنجح في تفهيمهم، ولا أدري من أين السبيل إلى مداركهم، فأنفق ساعة كاملة، أقلّب أوجه القول، وأستقري عبارات اللغة، لأفهمهم كيف يكون (الاسم هو الكلمة التي تدل على معنى مستقل في الفهم وليس الزمن جزءاً منه) فلا يفهمون من ذلك شيئاً، ولا أقدر أن أطرح هذا التعريف السخيف أو أستبدل به، فأهذي ساعة ثم أقول: من فهم؟ فيرفع ولد إصبعه. فأحمد الله على أن واحد قد فهم، وأقول: قم يا بني بارك الله فيك، فأخبرني عن معنى هذا التعريف، فيقول: يا أستاذ هذا داس قدمي، فأصيح به: ويحك !! إني أسألك عن تعريف الاسم، فلماذا تضع فيه قدمك؟ ألم أقل لكم أن هذه الشكاوى ممنوعة أثناء الدرس؟ فيقول: ولماذا يدوس هو على

رجلي! ؟فأصيح بالآخر: لم دست على رجله؟ فيقول: والله لقد كذب، ما دست على رجله ولكن هو الذي عضُّني في أذني. فأغضب وأصرخ في وجهه: وكيف يعضّك وأنا قاعد هنا؟ فيقول: ليس الآن، ولكنه عضّني أمس، ويتطوع العفاريت الصغار للشهادة للمدعي والمدعى عليه، ويزلزل الفصل، فأضرب المنصة بالعصا، وأسكتهم جميعا مهدداً من يتكلم بأقسى العقوبات، ولا أدري أنا ما أقسى العقوبات هذه، فيخنسون ويُبْلسون فأعود إلى الدرس فإذا هو قد طار من رؤوسهم، على أنه ما استقر فيها قط!

وينفخ في الصور، فتقوم القيامة، ويخرج الأولاد إلى الفرصة، ثم ترجع إلى درس آخر، ودواليك، ولا أزال في هذا البلاء بياض نهاري، ولا يأتي المساء وفيَّ بقية عقل، أو أثر من قوة، ثم لا أنا أرضيت الوزارة، ولا أنا نفعت أبناء المسلمين، ولا أنا انصرفت إلى مطالعاتي وكتاباتي.

وهذه مكتبتي لم أدخلها منذ أول العام الدراسي، وهذه مشروعات المقالات والبحوث التي أكتبها، وهذه مسوّدَات الكتاب الجديد الذي أؤلفه مبثوثة في جوانب الغرفة، ضائعة مهملة، أفتلومني بعد، على أني لا أجوِّد في هذه الأيام؟قلت: هذه والله حالي فلست ألومك، فرَّج الله عني وعنك!

فرحة لم تكتمل 😔

كنت في أحد الأيام مع أمي وأبي وإخوتي في رحلة عائلية، وبينما نحن نلعب ونركض، تعثرت قدماي فسقطت على حجر كبير فجرحت كتفي.

كان جرحي عميقًا وكبيرًا، هذا ما رأيته في ملامح أبي وهو يتفحصني، لقد ارتعب عندما رأى الجرح وكذلك أمي، قال لأمي: لا بد من المستشفى، فأمسكت أمي بجرحي واحتضنتني وساق أبي مسرعًا إلى المستشفى، لقد أرعبني خوفهم !

في الحقيقة، لم أكن أشعر بالألم بعد، ولكني عندما وصلت إلى المستشفى، شعرت بألم شديد في كتفي وفي رأسي وفي عنقي، وقد خاط الطبيب جرحي، وأطلقوا سراحي بعد إجراء الكثير من الفحوصات، ثم عدت إلى البيت.

بعد عودتي إلى البيت، يا للمفاجأة !! لقد جاؤا جميعًا ليطمئنوا عليّ، كلهم كانوا يقولون لي حمد الله على سلامتك، مسكين كيف حدث هذا ! ويمسحون بأيديهم على رأسي، كم كنت سعيدًا بهذا الأمر، حتى أصدقائي في الشارع

جاؤا لكي يطمئنوا عليّ وتجمعوا حولي، وجاءت أمهات ونساء من جيراننا للاطمئنان علي.

اشترى لي أبي كل ما أريد، وكانت أمي تبدل لي ملابسي، كنت سعيدًا جدًا، يا لسعادتي ! وأفضل ما في الأمر أني معفي من الذهاب للمدرسة، كلهم يذهبون إليها إلا أنا، فأنا مصاب وجرحي مخيط.

وفي خضم سعادتي، تذكرت أبناء صفي، لقد اشتقت إليهم، لماذا لا يأتون لزيارتي؟ لعلهم مشغولون بحل الواجبات، ومرت الأيام، وشفيّ الجرح وآن الأوان للعودة للمدرسة.

بصراحة اشتقت إليها، واشتقت إلى كل ما فيها، وفي الصباح لبست ملابسي وتهيأت للذهاب إليها، وقلت لنفسي: سيستقبلونني بسعادة وسأحكي لهم حكايتي، وانتظرت هذه اللحظة، وجاءت معلمتنا في الفصل.

كانت متجهمة على غير عادتها، فقلت في نفسي: ستسألني عن حكايتي، وسأسردها لها كلها، وقد شعرت بغبطة وانتظرت السؤال، ولكنها لم تسألني، توجهت إليّ دونما ابتسام، وقالت لي: أين الواجب؟!! فقلت للمعلمة: أي واجب؟ لقد كنت غائبًا، فاشتاطت المعلمة غضبًا، وأمسكت بمسطرتها، وأشاحت بها في وجهي، وهي تصرخ عليّ دونما سؤال عن سبب غيابي، ولا عن

مرضي، فسقطت دموع من عيني، وجلست دونما حراك، وهبطت سكينة على المكان.

وبعد انتهاء الدرس، اجتمع التلاميذ حولي، وهم يقولون حمداً على سلامتك، وكانوا سعداء بعودتي للصف مرة أخرى، وهذا ما حدث أثناء الفسحة المدرسية أيضاً، عدت على بيتي سعيداً باستقبال زملائي، ومساعدتهم لي في استذكار ما فاتني من دروس، ولكني لم أنس قط المعلمة التي تسببت في دموعي دونما سبب معلوم.

□

تيدي غير المحبوب

في يوم من الأيام وقفت معلمة الصف الخامس الدراسي وقالت لجميع التلاميذ: "إنني احبكم جميعاً، ولكنها في نفسها كانت تستثني تلميذ يدعي تيدي، لم تكن تحبه كثيراً، كان مستواه الدراسي متدني جداً وكان طفلاً منطوياً على نفسه ليس له أصدقاء، وملابسه دائماً شديدة الاتساخ، ودائماً يحتاج إلى الذهاب إلى الحمام، وكئيب لدرجة أنها كانت تجد متعة في تصحيح أوراقة بقلم أحمر، وتضع عليها علامة X بخط عريض وتكتب عبارة راسب في الأعلى.

وذات يوم طُلب منها مراجعة السجلات الدراسية السابقة لجميع الطلاب، وبينما كانت المعلمة تراجع ملف تيدي فوجئت بشيء ما ! لقد كتب عنه معلم الصف الاول : "تيدي طفل ذكي جداً وموهوب مجتهد، يؤدي عمله بعناية وبتنظيم ممتاز" بينما كتب عنه معلم الصف الثاني الدراسي "تيدي تلميذ نجيب ومحبوب من جميع زملائه ولكنه منزعج بسبب إصابة والدته بمرض السرطان" أما معلمة الصف الثالث فقد كتبت عنه في السجل "لقد كان لوفاة والدته وقع صعب عليه، بذل أقصى ما يملك من جهود ولكن والده لم يكن مهتماً به، والحياة الصعبة التي يعيشها تيدي في منزله أصبحت تؤثر

عليه، ويجب أن يتم اتخاذ بعض الإجراءات بهذا الشأن"، وكتب عنه معلم الصف الرابع "تيدي تلميذ منطوي علي نفسه، ليس لديه أي أصـــدقاء ولا يبدي رغبة في الدراســـة او ممارســـة النشاطات الصفية" .

هنا أدركت المعلمة المشـــكلة، وشـــعرت بالخجل كثيراً من نفســـها، وقد تأزم الموقف أكثر عندما احضـــر جميع التلاميذ هدايا عيد الميلاد لها ملفوفة بأجمل الأشـــرطة ما عدا الطالب تيدي، حيث كانت هديته ملفوفة بكيس مأخوذ من أكياس البقـالـة، تـألمت المعلمـة كثيراً وهي تفتح هـديـة تيـدي وجميع التلاميذ يضـحكون عليه، وكانت الهدية عبارة عن عقد مؤلف من ماسات ناقصة الأحجار وقارورة عطر ليس بها إلا الربع.

ولكن كف التلاميذ عند الضـــحك عندما عبرت المعلمة عن انبهارها وإعجابها الشـديد بجمال العقد ورائحة العطر المميزة وقالت: إنها أجمل هدية جاءتها في حياتها، وشـــــكرته بحرارة وارتدت العقد في سـعادة ووضـعت شـيئاً من العطر علي ثيابها، ويومها لم يذهب تيدي بعد الدراســـة إلى منزله مباشـــرة، بل انتظر ليقابل معلمته وقال لها: إن رائحتك اليوم مثل رائحة والدتي ! عندها انفجرت المعلمه بالبكاء لأن تيدى أحضـــر لها زجاجة العطر التى كانت والدته تسـتعملها، ووجد فى معلمته رائحة أمه الراحلة.

منذ ذلك الوقت اعتنت المعلمة بتيدي عناية خاصة وبدأ عقله يستعيد نشاطه، وبنهاية العام أصبح تيدي من أكثر التلاميذ تميزاً واجتهاداً بالفصل، ثم وجدت السيدة مذكرة عند بابها للتلميذ تيدي كتب بها أنها أفضل معلمة قابلها في حياته، فردت عليه قائلة: أنت من علمني كيف أكون معلمة جيدة، بعد مرور عدة سنوات، تلقت المعلمة دعوة من كلية الطب لحضور حفل تخرج دفعة جديدة، موقعة باسم: ابنك تيدي، حضرت المعلمة وهي ترتدي ذات العقد وتفوح منها رائحة العطر الخاصة بوالدته، الآن هل تعلم من هو تيدي؟ تيدي ستودارد هو أشهر طبيب بالعالم، ومالك مركز ستودارد لعلاج السرطان.

هذه رسالة لكل معلم ومعلمة في عالمنا العربي، ليت جميع المعلمين يدركون جيداً دورهم في بناء الإنسان أو هدمه، وقدرتهم على إحداث الفرق الحقيقي في حياة الطلاب ومستقبلهم.

□

معلم يرفع دعوى على طلابه

قام أحد المعلمين باللجوء إلى الهيئة القضـائية؛ كي يحصـل على حقه في حفظ كرامته أمام تلاميذه الذين أهانوه، وذلك ما قد اضـطره إلى رفع دعوى قضـائية ضـد التلاميذ يتهمهم فيها بالإهانة وسـوء المعاملة معه في الفصـل الدراسـي؛ حيث أكد أنهم قد تطاولوا عليه بكلمات سـيئة وبذيئة لا يصـح أن تخرج من أفواه تلاميذ لتتوجه إلى معلمهم حتى تصـل إلى حد السب.

قال المعلم أن أمر إهانته والتطاول عليه بدأ منذ أسـبوعين، ولكنه كان يحاول أن يعالج ذلك الأمر ويتغاضـى عن بعض الأمور؛ حتى لا تنهار العلاقة تمامًا معهم، ولكن لم تهدأ التصـرفات السـيئة لهؤلاء التلاميذ؛ وذلك ما قد أثّر في المعلم وأثار حزنه وغضبه، لذلك اضطر إلى اللجوء إلى القضاء كي يحصـل على حقه المعنوي الذي تدهور أمام أمثال هؤلاء التلاميذ المستهترين.

قامت المحكمة بمنح المعلم مذكرة مراجعة تختص بهؤلاء الطلاب الذين أهانوه؛ وذلك ليودعها في قسم الشرطة من أجل إتمام الإجراءات القانونية اللازمة، وأوضـح المعلم أن هناك مجموعة من الطلاب الذين شـهدوا حدوث واقعة الإهانة من

هؤلاء الطلاب غير المهذبين، وقامت إدارة المدرسة بتوثيق شهادة الطلاب الشهود في محاضر من أجل إثبات حدوث واقعة السب والقذف.

شعر المعلم بمدى الألم النفسي الذي أصابه نتيجة تعرضه لكلمات دنيئة وبذيئة من الطلاب الذين يتلقون منه العلم، لذلك أصرّ على استمرار رفعه للدعوى، وذلك من أجل أن يتعلم هؤلاء الطلاب درساً أخلاقياً لم يتعلموه من قبل في حياتهم؛ مما جعلهم يتطاولون بكل سهولة على معلميهم دون أن ينظروا إلى قيمتهم ودون أن يتذكروا أن ذلك المعلم وجب عليهم احترامه وتقديره.

بعد أن رفع المعلم دعواه ضد الطلاب؛ شعر أولياء الأمور أن أبنائهم قد وُضعوا في مأزق كبير؛ مما جعلهم يقومون بمحاولات مع المعلم لحل الأزمة بشكل ودي ودون الدخول في أمور قضائية قد تطيح بسمعة أبنائهم الطلاب، كما حاول عدد من المعلمين أيضاً التدخل من أجل حل المشكلة بين المعلم وتلاميذه بعيداً عن القضاء، ولكن فيما يبدو أن المعلم لديه العزيمة والإصرار على الاستمرار في قضيته.

وبعد عدة محاولات مع المعلم ليقوم بالتنازل عن الدعوى القضائية التي رفعها ضد الطلاب، قال المعلم أنه على استعداد لذلك ولكن إذا تحقق شرطان مهمان وهما: الأول أن يقوم

هؤلاء الطلاب بتقديم اعتذار رسمي من أجل الحفاظ على كرامته أمام الجميع، والشرط الثاني هو أن يتم نقل هؤلاء الطلاب إلى مدرسة أخرى؛ وذلك لأنه لا يريد أن يحتك بهم مرة أخرى.

تحولت قضية المعلم مع تلاميذه هي قضية رأي عام مجتمعي؛ حيث أنها مشكلة متداولة في كل البلدان في الوقت الحالي، ولا زالت القضية مستمرة للنظر في هيئة المحكمة، ولا زالت القضية العامة مستمرة في المجتمعات نتيجة لغياب عدة معايير أخلاقية أدت إلى هذه الحالة المتدهورة بين المعلم وتلاميذه.

□

معلمة ولكن بالصدفة

لم تتوقع أن تقودها الصـــدفة لأن تصـــبح معلمة للأطفال في الوقت الذي تدرس فيه بكلية طب الأســـنان، حيث اختطفتها نظرات الاســتعطاف من أحد الأطفال الفقراء والذي كان يمد يده لطلب المال وهو حاملاً كتابه الدراســـي في اليد الأخرى، فكان هذا المشـــهد هو العالم الآخر الذي انفتح أمام الطالبة زهرة هاشم المسلم.

زهرة هي طالبة من المملكة العربية الســـعودية تدرس في كلية طب الأســنان بجامعة عبدالرحمن بن فيصـل، وذات مرة كانت مريضـة فاتجهت إلى المسـتشـفي للفحص الطبي، وبينما هي في طريقها صـادفت المشـهد الذي أثرّ فيها للغاية، حيث شـاهدت طفلاً صـغيراً وهو يحمل كتابه الدراســي وقد وقف ليمد يده لطلب العون على الفقر ومعاناته.

بعد هذا المشـهد فكرّت زهرة في حال هؤلاء الفقراء، حتى وردتها فكرة رائعة وهي اســتقطاع جزء من إجازتها الأســبوعية لتقوم بتعليم بعض الأطفال الفقراء الذين ينتمون إلى الأســـــر المتعففة بمدينة الخبر كما وصـفتهم زهرة، حيث أنها رغبت في عمل برنامج خيري اجتماعي من أجلهم.

في بداية الأمر لم يكن تنفيذ فكرة البرنامج الخيري أمرًا سهلًا بالنسبة لزهرة، حيث أنها واجهت عدة صعوبات حول كيفية نشر فكرتها وإعلانها بين الناس وعن خطة عملها والمكان الذي ستعمل به، ولكنها تخطّت تلك العراقيل بفضل الله تعالى وبفضل سعيها لتعليم هؤلاء الصغار.

قامت زهرة بطباعة ونشر مجموعة من أوراق الإعلانات داخل الأحياء الفقيرة الواقعة في مدينة الخبر، حيث أنها قامت بتوزيع الأوراق الإعلانية على أبناء الأحياء بعد أن أبلغتهم أنها ستستقبل الأطفال الذين يحتاجون إلى المساعدة في الدراسة من أجل تعليمهم، وبالفعل بدأت في تنفيذ فكرتها في بيت صديقة لها تسكن بالقرب من تلك الأحياء، وبذلك نجحت في توفير المكان المناسب لهؤلاء الصغار.

بدأت زهرة تعطي دروسًا في البداية إلى طفلين فقط، حتى ازداد عددهم إلى ستة أطفال، ولكنها لم تستطع استقبال عدد أكبر من الأطفال نظرًا لظروف دراستها وسكنها داخل الجامعة، وهو ما يجعلها تعطي دروسها لهؤلاء الأطفال لمدة ثلاث ساعات متواصلة، وقد أثمرت جهودها عن تفوق هؤلاء الصغار، حيث أنها لاحظت تطور مستواهم في التحصيل العلمي بشكل كبير.

وقد حصلت زهرة على التمويل الخاص بتنفيذ فكرتها من خلال تدريسها لطالبات السنة التحضيرية في السكن الجامعي،

حيث أنها تحصـــــــل على مقابل مادي من طالبات الجامعة لتستثمرها في تعليم الصغار من أبناء الأسر المتعففة في المرحلة الابتدائية، كما أنها تعزم على مســـــــاعدة الآخرين بطريقة أخرى وألا تقتصر مساعدتها على الصغار فقط.

لقد فكرّت زهرة في فكرة جديدة رغبت في تنفيذها من أجل هذه الأســـر، حيث أنها قامت تجديد غرف النوم الخاصـــة بالمراهقين من أبناء الأســـر المتعففة، ســـاعدها في ذلك الدعم المادي الذي اقتطعته من راتبها حيث استثمرت أموالها في تعليم الصغار.

تغيرّت حياة زهرة بشـــكل تام من مجرد صـــدفة جعلتها تشـــعر بالشفقة على طفل فقير، لتسعى فيما بعد إلى تغيير مجتمعها ومســـاعدته قدر إمكانها، لتصـــبح مثالاً للفتاة الحنونة الذكية التي باتت نموذجًا طيبًا لكل أفراد مجتمعها، فكم من صــــــدفة خلقت المعجزات التي غيرّت الواقع الأليم.

□

طالب يرد جميل أستاذه

ضرب الطالب الصغير سعد الغامدي مثلًا يحتذى به في رد الجميل والعرفان، فقد حاول شكر أستاذه بطريقة مختلفة غير التي أعتاد الجميع عليها، حاول تكريم معلمه الأستاذ عبدالله القرني ببناء مسجد للمعلم في دولة إندونيسيا كصدقة جارية للأستاذ لما قدمه من جهد ودعم للطالب وتعليمه إياه.

تفاجأ المعلم ببطاقة تثبت تبرعه لبناء المسجد، كانت البطاقة مطرزة بباقة من الورود العطرة، يعلم المعلم عبدالله القرني في مدرسة النموذجية في مدينة جدة، كان يقوم بتوزيع شهادات النجاح والتفوق على الطلاب بمناسبة نهاية العام الدراسي، فتقدم الطالب سعد الغامدي حينها ليتسلم الشهادة وقدم البطاقة للأستاذ، لم يستطع الأستاذ أن يحبس دموعه من الفرحة والفخر بما زرعه في الطالب من القيم التي جعلته يحمل معاني سامية، ودعا الله للطالب بالتوفيق في حياته العملية وقال أنها أجمل هدية تلقاها في حياته على الإطلاق.

فما نزرعه في طلابنا نحصده تباعًا، فالمعلم هو أكثر من يحمل الدور التربوي في زرع القيم الحميدة في طلابه وتنشئتهم على مبادئ الدين الحنيف.

الفيل والحبل الصغير

كنت أفكر ذات يوم في حيوان الفيل، وفجأة استوقفتني فكرة حيرتني وهي حقيقة أن هذه المخلوقات الضخمة قد تم تقييدها في حديقة الحيوان بواسطة حبل صغير يلف حول قدم الفيل الأمامية، فليس هناك سلاسل ضخمة ولا أقفاص، كان من الملاحظ جداً أن الفيل يستطيع وببساطة أن يتحرر من قيده في أي وقت يشاء لكنه لسبب ما لا يقدم على ذلك !!

شاهدت مدرب الفيل بالقرب منه وسألته: لم تقف هذه الحيوانات الضخمة مكانها ولا تقوم بأي محاولة للهرب؟ حسناً، أجاب المدرب: حينما كانت هذه الحيوانات الضخمة حديثة الولادة وكانت أصغر بكثير مما هي عليه الآن، كنا نستخدم لها نفس حجم القيد الحالي لنربطها به، وكانت هذه القيود في ذلك العمر كافية لتقييدها، فتكبر هذه الحيوانات معتقدة أنها لا تزال غير قادرة على فك القيود والتحرر منها، بل تظل على اعتقاد أن الحبل لا يزال يقيدها، ولذلك هي لا تحاول أبداً أن تتحرر منه، كنت مندهشاً جداً.

هذه الحيوانات – التي تملك القوة لرفع أوزان هائلة - تستطيع وببساطة أن تتحرر من قيودها، لكنها اعتقدت أنها لم تستطع فعلقت مكانها كحيوان الفيل، الكثير منا أيضاً يمضون في

الحياة معلقين بقناعة مفادها أننا لا نستطيع أن ننجز أو نغير شيئاً وذلك ببساطة لأننا نعتقد أننا عاجزون عن ذلك، أو أننا حاولنا ذات يوم ولم نفلح.

- هذا نفسه ما نقوم به مع طلابنا منذ سنواتهم الأولى في المدرسة، حيث نقلل من قدراتهم ومهاراتهم فيكبرون وهم يعتقدون أنهم غير قادرين على القيام بما يمكنكم القيام به، فيقضوا بقية حياتهم عاجزين في حين أنهم ليسوا كذلك، لا تقل لطلابك أي كلمة سلبية حتى وإن كانوا يمارسونها.

□

صنع ما لم يصنعه أحد قبله

في إحدى الجامعات في كولومبيا حضر أحد الطلاب محاضرة مادة الرياضيات، وجلس في آخر القاعة ونام بهدوء، وفي نهاية المحاضرة استيقظ على أصوات الطلاب، ونظر إلى السبورة فوجد أن الدكتور كتب عليها مسألتين، فنقلهما بسرعة وخرج من القاعة وعندما رجع البيت بدأ يفكر في حل هاتين المسألتين، كانت المسألتان صعبتان جداً، فذهب إلى مكتبة الجامعة وأخذ المراجع اللازمة، وبعد أربعة أيام استطاع أن يحل المسألة الأولى وهو ناقم على الدكتور الذي أعطاهم هذا الواجب الصعب !! وفي محاضرة الرياضيات اللاحقة استغرب أن الدكتور لم يطلب منهم الواجب، فذهب إليه وقال له: يا دكتور، لقد استغرقت في حل المسألة الأولى أربعة أيام، وحللتها في أربع أوراق، تعجب الدكتور وقال للطالب: ولكني لم أعطكم أي واجب !! والمسألتان اللتان كتبتهما على السبورة هي أمثلة للمسائل التي عجز العلم عن حلها !!

- إن هذه القناعة السلبية جعلت الكثير من العلماء لا يفكرون حتى في محاولة حل هذه المسألة، ولو كان هذا الطالب مستيقظاً وسمع شرح الدكتور لما فكر في حل المسألة، ومازالت هذه المسألة بورقاتها الأربع معروضة في تلك الجامعة.

اعتقاد بين رياضي الجري

قبل خمســــين عام كان هناك اعتقاد بين رياضـــي الجري أن الإنســان لا يســتطيع أن يقطع ميلاً ي أقل من أربع دقائق، وأن أي شــخص يحاول كسـر هذا الرقم سـوف ينفجر قلبه، ولكن أحد الرياضــيين ســأل: هل هناك شــخص حاول وانفجر قلبه؟ فجاءته الإجابة بالنفي !!فبدأ بالتمرن حتى اســتطاع أن يكســر الرقم ويقطع مسافة ميل في أقل من أربع دقائق.

في البداية ظن العالم أنه مجنون أو أن ســاعته غير صــحيحة، لكن بعد أن رأوه يقوم بالمهمة أمامهم صدقوا الأمر، واستطاع في نفس العام أكثر من ١٠٠ رياضي أن يكسر ذلك الرقم !!

▪ القناعة الســـــلبية هي التي منعتهم أن يحاولوا من قبل، لما زالت القناعة استطاعوا أن يبدعوا، ترى كم من القناعات السلبية التي يحملها طلابنا وكانت سبباً في منعهم من التطور والتقدم؟!!

□

العامل الواهم والثلاجة

يذكر أن هناك ثلاجة كبيرة تابعة لشركة لبيع المواد الغذائية، ويوم من الأيام دخل عامل إلى الثلاجة، وكانت عبارة عن غرفة كبيرة عملاقة، دخل العامل لكي يجرد الصناديق التي بالداخل، فجأة وبالخطأ أغلق على هذا العامل الباب، طرق الباب عدة مرات ولم يفتح له أحد، وكان في نهاية الدوام وفي آخر الأسبوع، حيث أن اليومين القادمين إجازة، فعرف الرجل أنه سوف يهلك، فلا أحد يسمع طرقه للباب!! جلس ينتظر مصيره، وبعد يومين فتح الموظفون الباب، ووجدوا الرجل قد توفي، ووجدوا بجانبه ورقة كتب فيها ما كان يشعر به قبل وفاته، وجدوه قد كتب الآتي: (أنا الآن محبوس في هذه الثلاجة، أحس بأطرافي بدأت تتجمد، أشعر بتنمل في أطرافي، أشعر أنني لا أستطيع أن أتحرك، أشعر أنني أموت من البرد، وبدأت الكتابة تضعف شيئاً فشيئاً حتى أصبح الخط ضعيف الى أن انقطع !! العجيب أن الثلاجة كانت مطفأة، ولم تكن متصلة بالكهرباء.

برأيكم من الذي قتل هذا الرجل؟ لم يكن سوى وهم، فقد كان يعتقد بأن الثلاجة تعمل، ولم يخطر بباله شك في أنها مطفأة، كان يعتقد بما أنه في الثلاجة، فالجو بارد جداً تحت الصفر، وأنه سوف يموت.

- كم صادفنا طلاباً قضوا حياتهم في وهم "لا أستطيع"، وهم "هذه المادة صعبة"، وهم "لا أحب مادة الرياضيات"، وغيرها من الأوهام، حين يتحول الوهم إلى قناعة راسخة؛ يصبح معتقداً يؤثر على فكر الطالب وسلوكه ووجدانه، حاربوا الوهم في عقول طلابكم كما تحاربون الجهل، فالجهل والوهم قرينانؤ وربما كان الوهم أشد فتكاً بعقول طلابنا من الجهل ذاته، لأن الجهل ألا تعلم، والوهم هو أن تعلم ولا تعلم أنك تعلم.

□

لا تيأس من طلابك

قمت ذات يوم بتوزيع أوراق الاختبار لمادة اللغة الإنجليزية، ولم أنتهِ من تسليم الورقة لآخر طالب في الفصل - الذي لم يتجاوز عددهم ٢٥ طالباً - وإذا بأغبى طالب - كما ينظر له الطلاب - يرفع يده قائلاً: انتهيت من حل الاختبار !! فضحكت وضحك الطلاب، وجئت إليه لأستلم الورقة منه وأثبت له عدد الأخطاء التي ارتكبها، لأنني لم أشرح الأسئلة للطلاب، فضلاً عن أن يكون قادراً على فهمها ومن ثم حلها، وبنظرة خاطفة على الورقة، وإذا به تمكن من حل جميع الأسئلة بشكل صحيح ليحصل على الدرجة الكاملة، فقط منذ أن سلمت له الورقة إلى وقت انتهائي من تسليم الورقة لآخر طالب، والتي لم تتجاوز دقيقتين !!

كنت حين أعطي الطلاب الأوراق أقول لهم: لا تبدأوا بالحل حتى أقرأ عليكم الأسئلة وأشرحها حتى لا تخطأوا، وإذا بهذا الطالب - الغبي في نظر الطلاب - قد انتهى من حل أسئلة الاختبار، ونافس الأوائل في المدرسة !! تعجبت وأثنيت عليه بين الطلاب في بقية الفصول، وأخبرت الجميع بذلك، وعلقت اسمه وصورته في قائمة الأوائل، لا تسألوني كيف تحسن مستواه بعد ذلك اليوم، وكيف أصبحت دافعيته نحو التعلم !!

لا تيأس من طلابك مهما كانت مستوياتهم ضعيفة !! المهم أن تستمر أنت في تقديم الرعاية لهم، وتستمر في تحسين مستوياتهم، فلا تدري أين يكون أثرك، ولن ينساك ذلك الطالب الذي كنت أنت فاعلاً في تغيير حياته وأنت لا تعلم.

□

صفاتي المميزة ♡

في يوم من الأيام دخلت المعلمة إلى الفصل متحمسة، سلمت على الطلاب وطلبت أن يخرج كل واحد منهم ورقة ويكتب عليها قائمة بأسماء زملائه في الفصل مع ترك مسافة بين كل اسم وآخر، ثم طلبت منهم أن يقوموا بكتابة أجمل شيء يمكن قوله عن كل زميل في هذه المسافة الخالية، وأخبرتهم أنها سوف تجمع الأوراق بعد يوم العطلة.

وبالفعل أحضر كل طالب ورقته وكتب فيها ما طلبت العلمة، وبعد يوم العطلة جمعت المعلمة كل الأوراق وكتبت اسم كل طالب في ورقة منفصلة، وتحته قائمة بكل ما كتبه عنه زملائه، ثم أعطت كل طالب الورقة التي تحمل ما كتبه عنه اصدقائه في الفصل.

بعد مرور وقت قصير بدأت ابتسامة عريضة تظهر على وجوه الجميع وهم يقرأون الأوراق، وتردد في أنحاء الفصل عبارات بنبرة سعيدة مثل: حقاً؟! لم أكن أعرف أنني محبوب لهذه الدرجة من زملائي، لم أدرك يوماً أنني أعني شيئاً لأي أحد.

مر اليوم ونسي الطلاب أمر الأوراق ولكن الاختبار أتى ثماره ونتائجه المرادة، حيث كان الجميع سعيداً ومسروراً من نفسه

ومن الآخرين أيضـــــاً، وكبرت تلك المجموعة من الطلاب، وانتقلوا من صفّ إلى صف، وتخرجوا من المدرسة.

وبعد مرور سنوات طويلة صار أحد هؤلاء الطلاب ضابطاً وقُتل في إحدى الحروب. حضـــــرت المعلمةُ الجنازة وكانت هذه المرة الأولى التي ترى فيها جندياً في كفن عســـــكري، امتلأ المكان بأصـدقاء هذا الجندي القدامى من المدرسـة، وأحاطوا بالنعش وهم يتمنون له الرحمة والمغفرة، وكانت المعلمة آخر من دعا له قبل أن يدفن، فجاء إليها الجندي وســـألها: فجاء إليها جندي آخر وســـألها: «هل أنتِ معلمة هذا الجندي لمادة الرياضـيات؟» أومأتْ بالإيجاب، فقال الجندي: «كان صـــــديقي الجندي يتحدث عنك كثيرًا.»

بعد انتهاء الجنازة جاء والد الجندي الميت ووالدته للتحدث مع المعلمة وطلبوا منها أن تأتي معهم حتى يعرضوا عليها شيئاً ما، ثم قام والده بإخراج ورقتين من محفظته عليهم شـــــرائط لاصـقة ويبدو عليهم القدم وأثر السـنوات واضـحاً للغاية، ثم أعطى هـذه الأوراق للمعلمـة وقـال لهـا أنهم وجـدوا هـذه فوق جثمـان اينهم عنـدمـا قتـل، تعرفـت المعلمـة على الفور على الأوراق، فقد كانت هي قائمة الصـــفات الطيبة التي كتبها الزملاءُ عنه.

عنـدمـا أخبرتهم المعلمـة بـالأمر أخـذت والـدة الجنـدي تبكي بحرارة وهي تقول: «نشـــكرك كثيرًا على فِعل هذا، كما ترين كان ابننا يعتبرها ثروته» بدأ باقي الزملاء القدامى يتجمعون حول المعلمة ويخبروها أنهم لا يزالوا أيضاً حتى الآن يحتفظون بهذه القائمة، وتمتم أحدهم : «أظن أننا جميعًا نحمل قوائمنا»

العبرة من القصـــــــــة: جميل أن نخبر طلابنا بمزاياهم التي يتميزوا بها، ونشــعرهم بأهميتهم بين زملائهم، ونعبر لهم على مكانتهم في الحياة.

□

قصص مؤلمة في صرح التعليم

روى عددٌ من المعلمين قصصاً إنسانية مؤلمة ومؤثرة صادفوها لطلابهم خلال اليوم الدراسي، كان لها أثر نفسي هائل على نفوسهم، حيث لا يزالون يتذكرون تفاصيلها كما لو كانت وقعت بالأمس رغم أنها حدثت قبل سنوات طوال.

- يقول المعلم محمد عبدالله: إن طالباً بالصف الثاني الابتدائي كان يعانقه باستمرار بسبب ومن دون سبب؛ ما جعله مندهشاً ومنزعجاً، وذلك قبل أن يخبره معلم آخر أن الطالب فقد والديه في حادثي سير منفصلين في غضون شهرين فقط، ويكرر معانقته له بسبب اشتياقه لوالديه، وأضاف أنه فور علمه بذلك غيّر معاملته للطالب على الفور، وأصبح يتابع دروسه مع المعلمين، ولا يزال متأثراً بالحادثة رغم مرور أربع سنوات على وقوعها.

- في قصة أخرى، يقول المعلم سعد محمد أنه كان ذات مرة يتجول بين الطلاب في الفسحة، حتى استوقفه شجار بين طالبين، فتدخل لإنهائه واصطحب الطالبين لغرفة وكيل

المدرســة، وبعد حل المشــكلة ومصــالحتهما، تحدث منفرداً مع الطالب الذي بدأ الشجار حيث كان عصبياً بشكل مفرط.

وأبان أنه بعد إلحاح على الطالب لمعرفة سبب الشجار، أخبره أن زميله رفع ثوبه قليلاً ما دفعه لينهال عليه ضرباً، وحين سـأله: لماذا كل هذا الانفعال فالموقف لا يسـتدعي كل هذا الغضـب، أطرق الطالب برأســه وســكت، قبل أن يقوم برفع ثوبه وإذا به يرتدي ملابس أخته الداخلية، حيث ينحدر الطالب من بيت فقير وأبوه سجين وليست لديه ملابس داخلية إلا قليلة، وخاف أن يرى زملاءه ملابس أخته فيسخرون منه.

- في حادثة أخرى، كشف المعلم فاضل جاسم أنه لاحظ على أحد طلابه بالصــف الثالث الابتدائي الاســتئذان المتكرر أثناء الحصــة، وذات مرة رفض الســماح له بالخروج، لكن بعد إلحاح الطـالـب سمح لـه بـالنزول، ثم تتبعـه ليجـده يختبئ خلف الصـــــفوف ويبدل حذاءه الرياضـــــي مع طالب آخر حذاؤه متهالك؛ ولما سـألهما عن السـبب رفضـا الإجابة، وبعد إلحاح أخبره طـالبـه أن الطـالـب الآخر أخوه ولا يملكـان إلا حـذاءً رياضـــياً واحداً، ويتبادلان ارتداءه بين الوقت والآخر إذا كان لدى أحدهما حصة رياضة.

وأشار المعلم إلى أنه قصّ القصة على مدير المدرسة واتفقا على إنشاء صندوق لدعم الطلاب المحتاجين، وفي اليوم التالي اشترى حذاءً رياضياً وملابس رياضية، ودخل بها الفصل وأخبر الطلاب أنه سيمنحها للطالب الهادئ في نهاية الحصة، ووضع اسم ذلك الطالب في جميع الأوراق التي سيسحبها، وما إن جرى السحب واستلم الطالب هديته حتى اقترب من المعلم وابتسم وقال له: "شكراً لك يا أستاذ".

□

أيها الكذاب: أنت مؤلف بارع

ذات مرة اشـــتكى لي أحد المعلمين قائلا: لدي تلميذ في الصــف الرابع الابتدائي يكذب ويتقن الكذب بطريقة عجيبة، في كل مرة أسأله فيها عن الواجب يصنع حكاية تتضمن عذرا مقبولا، لكن بعد التحري والبحث أكتشـــــــف أنه يكذب علي، وبعد المواجهة وعدني بألا يعود لمثل ذلك، لكنه في اليوم التالي يكرر الأمر نفســه، لم ينفع معه عقاب ولا ضــرب ولا تشــجيع، ولقد اشتكيت لوالديه ولم أجد نتيجة، لقد تعبت منه، فماذا أفعل؟

قلت له: إن هذا الطفل يتقن الكذب ويتفنن في تأليف الحكايات الكاذبة، إذا لديه مهارة في ذلك، لكنه يســتخدمها في الشــر، ما رأيكم لو ســـاعدناه على اســـتخدامها في الخير، ولكن كيف ذلك؟ لقد اقترحت الحل على المعلم وانظروا ماذا فعل.

في بداية الحصـــــــة التالية نادى المعلم على هذا الطفل أمام زملائه وقال له: لقد فكرت كثيرا في حكايتك، فاكتشــــفت أنك مبدع في تأليف الحكايات، لذلك بداية من الحصـــــــــة القادمة سأعطيك في بداية كل حصة خمس دقائق تحكي لنا إحدى قصـصــك الجميلة، بشــرط أن تأتي بالقصــة مكتوبة، وأعطى المعلم للطالب كشــــكولا لذلك كتب عليها (كتاب حكايات أحدهم)، وأخذ الطفل الكشـــــكول حىنها، ومر يومان،

وتقابل المعلم مع الطفل المشـــــاكس مرة أخرى، وكان المعلم صـــــــادقا في وعده به، فنادى عليه ليأخذ الدقائق الخمس المخصــصـــة له في بداية الحصـــة وليحكي لزملائه ما يريد، وبالفعل خرج الطفل مســـرورا وأخرج الكشـــكول وبدا يروي حكايته، يقول المعلم: لقد كانت فعلا حكاية جميلة، فصفق له الجميع، وانطلقت أشـــرح الدرس، وبعد الدرس ســـألته عن الواجب فقال: كيف أفعله يا أســـتاذ وأنا كنت مشـــغولا في كتابة القصـــة من أجلك، يقول المعلم فكظمت غيظي وقلت: موعدنا في الحصص القادمة.

مرت الأيام، وتوالت الحكايات، وتحســـن أداء هذا الطفل المبدع، وانضـم لقافلة المتفوقين، لكن قصـة هذا الطفل لم تتوقف عند هذا الحد، فقد ظل المعلم متواصـلا مع هذا الطفل طوال عشـر سـنوات، والنتيجة بعد هذه السـنوات أن هذا الطفل يجهز نشـر أول مجموعة قصـصـية من تأليفه، وهي إبداعية باعتراف عدد من المتخصصين.

اختبار بثلاثة نماذج 31

كان هناك مدرس مجتهد يقدر التعليم حق قدره، يريد أن يختبر تلاميذه اختبارهم الدوري عندما حان موعده؛ ولكنه أقدم على فكرة غريبة وجديدة لهذا الاختبار.

فهو لم يجر اختبارا عاديا وتقليديا بالطرق التحريرية المتعارف عليها، ولا بالأساليب الشفهية المألوفة؛ فقد قال لطلبته: إنه حضر ثلاثة نماذج للامتحان، يناسب كل نموذج منها مستوى معينا للطلبة.

النموذج الأول: للطلاب المتميزين الذين يظنون أنهم أصحاب مستوى رفيع، وهو عبارة عن أسئلة صعبة.

النموذج الثاني: للطلاب متوسطي المستوى الذين يعتقدون أنهم غير قادرين إلا على حل الأسئلة العادية التي لا تطلب مقدرة خاصة، أو مذاكرة مكثفة.

النموذج الثالث: يخص ضعاف المستوى ممن يرون أنهم محدودي الذكاء، أو غير مستعدين للأسئلة الصعبة، أو حتى العادية نتيجة إهمالهم وانشغالهم عن الدراسة.

أي نموذج ستختار أنت؟

وبعد أن تعجب التلاميذ من أسلوب هذا الاختبار الفريد من نوعه، والذي لم يتعودوا عليه طوال مراحل دراستهم المختلفة؛ راح كل منهم يختار ما يناسبه من ورقات الأسئلة، وتباينت الاختيارات.

عدد محدود منهم اختار النماذج التي تحتوي على الأسئلة الصعبة، وعدد أكبر منهم بقليل تناول الورقة الخاصة بالطالب العادي، وبقية الطلاب تسابقوا للحصول على الوريقات المصممة للطلاب الضعاف.

وقبل أن نعرف معا ما حدث في هذا الاختبار العجيب دعني أسألك: ترى أي نموذج كنت ستختار لو كنت أحد طلاب ذلك الفصل؟

وبدأوا حل الاختبار؛ ولكنهم كانوا في حيرة من أمرهم، فبعض الطلاب الذين اختاروا الأسئلة الصعبة، شعروا بأن الكثير من الأسئلة ليست بالصعوبة التي توقعوها، أما الطلاب العاديين؛ فقد رأوها بالفعل أسئلة عادية قادرين على حل أغلبها، وتمنوا من داخلهم لو أنهم طلبوا الأسئلة الأصعب؛ فربما نجحوا في حلها هي الأخرى، أما الصدمة الحقيقية؛ فكانت من نصيب أولئك الذين اختاروا الأسئلة الأسهل؛ فقد كانت هناك أسئلة لا يظنون أبدا أنها سهلة.

وقف المدرس يراقبهم، ويرصـــــــــد ردود أفعالهم، وبعد أن انتهى الوقت المحدد للاختبار، جمع أوراقهم، ووضعها أمامه، وأخبرهم بأنه سـيحصـي درجاتهم أمامهم الآن، دهش التلاميذ من ذلك التصريح؛ فالوقت المتبقي من الحصة لا يكفي لتصحيح ثلاث أو أربع ورقات؛ فما بالك بأوراق الفصل كله؟!

واشـتدت دهشـتهم وهم يرون معلمهم ينظر إلى اسـم الطالب على الورقة وفئة الأسـئلة هل هي للمسـتوى الأول أو الثاني أو الثالث، ثم يكتب الدرجة التي يسـتحقها، ولم يفهم الطلبة ما يفعل المعلم، وبقوا صـــــامتين متعجبين، ولم يطل عجبهم؛ فسرعان ما انتهى الأستاذ من عمله، ثم التفت إليهم ليخبرهم بعدد من المفاجآت غير المتوقعة.

أفشى لهم الأسـتاذ أسـرار ذلك الاختبار، فأول سر أو مفاجأة، تمثلت في أن نماذج هذا الاختبار كلها متشـــابهة، ولا يوجد اختلاف في الأسـئلة، أما ثاني الأسـرار أو المفاجأت؛ فكانت في منح من اختاروا الأوراق التي اعتقدوا أنها تحتوي على أسـئلة أصعب من غيرها درجة الامتياز، وأعطى من تناول ما ظنوا أنها أسئلة عادية الدرجة المتوسطة، أما من حصل على الأسئلة التي فكروا في كونها سهلة وبسيطة فقد حصل على درجة ضعيف، وبعد أن فغر أغلب الطلاب أفواههم دهشة واعتراضا، وعلى وجه

الخصوص أصحاب الأسئلة العادية والسهلة، راحوا يتأملون كلام الأستاذ وتبين لهم مقصده.

أكد هذا المدرس هذا المقصد، عندما أعلن لهم بأنه لم يظلم أحدا منهم؛ ولكنه أعطاهم ما اختاروا هم لأنفسهم؛ فمن كان واثقا في نفسه وفي استذكاره طلب الأسئلة الصعبة؛ فاستحق العلامات النهائية، ومن كان يشك في إمكانياته ويعرف أنه لم يذاكر طويلا؛ فقد اختار لنفسه الأسئلة العادية؛ فحصل على العلامة المتوسطة، أما الطلاب الضعاف المهملين الذين يرون في أنفسهم التشتت نتيجة لهروبهم من التركيز في المحاضرة أو الحصة، ثم تجاهل مذاكرة الدروس؛ فهؤلاء فرحوا بالأسئلة السهلة؛ فلم يستحقوا أكثر من درجة ضعيف.

□

الدجاجة في الزجاجة

يقول أحد المعلمين - وهو معلم اللغة العربية - في إحدى السنوات كنت ألقي الدرس على الطلاب أمام اثنين من رجال التوجيه لدى الوزارة الذين حضروا لتقييمي، وكان هذا الدرس قبيل الاختبارات النهائية بأسابيع قليلة !!

أثناء إلقاء الدرس قاطعني أحدالطلاب قائلاً: يا أستاذ، اللغة العربية صعبة جداً؟! ما كاد هذا الطالب أن يتم حديثه حتى تكلم كل الطلاب بنفس الكلام وأصبحوا كأنهم حزب معارضة !! فهذا يتكلم هناك وهذا يصرخ وهذا يحاول إضاعة الوقت وهكذا .... !!

سكت المعلم قليلاً ثم قال: حسناً لا درس اليوم، وسأستبدل الدرس بلعبة !! فرح الطلبة وتجهم الموجهان، قام المعلم برسم زجاجة ذات عنق ضيق، ورسم بداخلها دجاجة، ثم قال: من يستطيع أن يخرج هذه الدجاجة من الزجاجة؟! بشرط أن لا يكسر الزجاجة ولا يقتل الدجاجة !

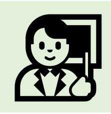
فبدأت محاولات الطلاب التي باءت بالفشل جميعها وكذلك الموجهان، فقد انسجما مع اللغز، وحاولا حله ولكن بائت كل المحاولات بالفشل؟! فصرخ أحد الطلبة من آخر الفصل يائساً: يا أستاذ، لا تخرج هذه الدجاجة إلا بكسر الزجاجة أو قتل

الدجاجة، فقال المعلم: لا تستطيع خرق الشروط، فقال الطالب متهكماً: إذاً يا أستاذ، قل لمن وضعها بداخل تلك الزجاجة أن يخرجها كما أدخلها !! ضحك الطلبة ولكن لم تدم ضحكتهم طويلاً !! فقد قطعها صوت المعلم وهو يقول: صحيح، صحيح، هذه هي الإجابة !

من وضع الدجاجة في الزجاجة هو وحده من يستطيع إخراجها، كذلك أنتم !! وضعتم مفهوماً في عقولكم أن اللغة العربية صعبة، فمهما شرحت لكم وحاولت تبسيطها فلن أفلح إلا إذا أخرجتم هذا المفهوم بأنفسكم دون مساعدة، كما وضعتموه بأنفسكم دون مساعدة !!

يقول المعلم: انتهت الحصة وقد أعجب بي الموجهان كثيراً !! ولكني بعد ذلك تفاجأت بتقدم ملحوظ للطلاب في الحصص التي بعدها، بل وتقبلوها قبولاً سهلاً يسيراً !!

هذه هي قصة ذلك المعلم، فكم دجاجة وضعنا نحن؟! إذا تبنيت مفهوماً في عقلك أنه لا صعب إلا ما جعلته صعباً بإرادتك، وبإرادتك أيضاً أن تجعله سهلاً، فتنجزه دونما أي عوائق أو مشاكل، الإنسان يصبح متمثلاً للقناعات التي يؤمن بها حتى وإن كانت خاطئة.



حين يكون المعلم مؤثرا

طفل صـغير في الصـف الثالث الابتدائي، كان المدرس يحثهم وبقوة على طاعة الله وعلى أداء صـلاة الفجر، وكانت النتيجة أن تأثر هذا الغلام الصـغير بهذه الدعوة من معلمه واسـتجاب لأداء صلاة الجماعة في المسجد.

ولكن الفجر صعبة بالنسبة له فقرر أن يصلي الفجر في المسجد ولكن من الذي يوقظه؟ أمه؟ لا، والده؟ لا، ماذا يصـنع يا ترى؟ قرر قراراً خطيراً، قراراً صارماً قرر أن يسهر الليل ولا ينام، وفعلاً سهر الليل إلى أن أذن الفجر وخرج إلى المسجد مسرعاً يُريد أن يصلي، ولكن عندما فتح الباب وإذا بالشارع موحش مظلم ليس هناك أحد يتحرك، فخاف وارتاع من ذلك، ماذا يصـنع؟ ماذا يفعل يا ترى؟

وفي هذه اللحظة إذا به يسمع مشياً خفيفاً، فوجد رجلٌ يمشـي رويداً رويداً، وإذا بعصـاه تطرق الأرض وأقدامه لا تكاد أن تمس الأرض! فنظر إليه وإذا به جد زميله فقرر أن يمشـي خلفه دون أن يشعر به وفعلاً بدأ يمشي خلفه إلى أن وصل للمسجد فصلى ثم عاد مع هذا الكبير في السن دون أن يشعر به، وقد ترك الباب ولم يُغلقه ودخل ونام.

ثم استيقظ للمدرسة وكأن شيئاً لم يحدث، استمر على هذا المنوال فترة من الزمن، لم يستغرب أهله منه إلا في كثرة نومه في النهار ولا يعلمون ما السبب !

وفي أحد الأيام علم هذا الطفل الصغير أن هذا الجد قد تُوفي، مات هذا الرجل الكبير في السن، صرخ الصغير وبكى، ما الذي حصل؟ لماذا تبكي يا بُني؟ إنه رجلٌ غريب عنك، إنه ليس أباك ولا أمك ولا أخاك فلماذا تبكي؟ وعندما حاول والده أن يعرف السبب قال لوالده: يا أبي ليتك أنت الميت؟!! أيُعقل أن يتمنى الابن أن يموت أباه ولا يموت ذلك الرجل !! قال الطفل: نعم، قال: يا أبي ليتك أنت الميت لأنك لا توقظني لصلاة الفجر، أما هذا الرجل فقد كنت أستأنس به وأمشي خلفه دون أن يشعر إلى صلاة الفجر ذهاباً وإياباً وقص القصة على والده، كاد الأب أن تخنقه العبرات وربما بكى، تأثر جداً وحدث في حياة هذا الأب تغيّرٌ قويٌّ بفعل سلوك هذا الابن، بل بفعل سلوك هذا المعلم الذي ربما لم يعرف ما حدث للطفل.

المعلم الذي يحمل القيم وينقلها لطلابه هو من يبقى في ذاكرة طلابه وعقولهم، وقد يؤثر عليهم في سلوكياتهم وأفكارهم أكثر من آبائهم، وكم من طالب نبغ وصار شيئاً عظيماً بسبب تأثره بكلمة قالها معلم أو سمعها منه.

□

غياب المعلم في اليابان

مدير مدرسة خليجي زار اليابان ضمن وفد تربوي، يقول: زرنا إحدى المدارس اليابانية وتفقدنا المدرسة ثم جلسنا مع مديرها في حوار، وكان من ضمن الأسئلة سؤال طرحه أحد أعضاء الوفد وسأل المدير الياباني: ماذا تفعل إذا غاب أحد المعلمين؟

فأجاب مدير المدرسة الياباني: لا يمكن أن يتغيب عندنا معلم إلا إذا كان مريضاً في المستشفى، فالغياب غير وارد بأي حال من الأحوال، فمهمة المعلم مقدسة، يمكن أن يكون المعلم بحاجة إلى يوم لقضاء حاجات أو إنهاء معاملات أو ظروف أسرية أو غيرها.

عندها قال مدير المدرسة الياباني: أي أمر يحتاجه المعلم تقوم به المدرسة نيابة عنه، فإذا مرض أحد أفراد أسرته فقط يبلغنا ونحن نرسل من يقوم بإرسال المريض للمستشفى والقيام بكل ما يلزم ولا يتغيب المعلم، وإذا تعطلت سيارته يركب تاكسي على حساب المدرسة ويعطي المفاتيح للإدارة التي تقوم بإرسال من يقوم بإصلاحها أو تنفيذ كل ما تحتاجه السيارة، وإذا احتاج معاملة فعندنا موظف بالمدرسة لإنجاز معاملات المعلمين، وأصبح يعدد الخدمات التي تقدمها المدرسة للمعلم حتى يكون مرتاحاً، ولكي يؤدي واجبه بأتم صورة، فالإدارة في خدمة المعلم، المهم أن لا يتغيب عن طلابه بأي حال من الأحوال، فطلابه هم الأهم في حياة المعلم.

وفاء نادر لطالب تجاه معلمه ♡

في سنه ١٩٣٩ م لاحظ مدرس فلسطيني في إحدى مدارس الرياض الابتدائية الحزن الشديد على وجه أحد التلاميذ السعوديين فسأله عن السبب؟!! فأخبره أن المدرسة تنظم رحلة ورسوم الاشتراك ريالاً واحداً، ولكن أسرته فقيرة جداً ولا تمتلك هذا الريال !!

فبكل ذكاء عمل المدرس مسابقة جائزتها للإجابه الصحيحة ريالاً واحداً، وبالطبع سأل التلميذ الصغير عن الإجابة فأجاب وأخذ الريال وفرح فرحة لا توصف وشارك في الرحلة.

بالطبع لم يستكمل ذلك التلميذ الصغير تعليمه بسبب فقره الشديد، واضطر للعمل حمالاً للأمتعة مقابل نصف ريال في اليوم، ثم حمالاً لجوالين الكيروسين لعدم وجود الكهرباء في ذلك الوقت، ثم بائعاً في بقالة ثم طباخاً حتى ادّخر ٤٠٠ ريال، فتح بها بقالة ثم فتح محل صيرفة لبيع وشراء العملات من الحجاج، ثم أكرمه الله وازدادت تجارته.

لا تستغربوا أن هذا التمليذ هو سليمان الراجحي الذي أسس مصرف الراجحي الذي يبلغ رأس ماله أكثر من ١٢٤ مليار ريال، ويعمل به ٨٠٠٠ موظف في ٥٠٠ فرع حول العالم، وعرفاناً بفضل الله عليه تبرع بثلثي ثروته كأوقاف لأعمال الخير.

لم ينسَ أبداً هذا التلميذ موقف المدرس الفلسطيني معه، وهذا ما كتبه بنفسه عن هذا الموقف في مذكراته "قصة كفاح":

(عدتُ إلى المدرسة وإلى جهات التعليم بحثاً عن هذا المدرس الفلسطيني حتى عرفت طريقه، فخططتُ للقائه والتعرف على أحواله، التقيت به ووجدته قد شاخ وهو بحال صعبة وبلا عمل ويستعد للرحيل إلى بلاده، فلم يكن إلا أن قلت له بعد التعارف: يا أستاذي الفاضل، لك في ذمتي دين كبير جداً منذ سنوات، رد باستغراب قائلاً: يس لي ديون عند أحد ، وهنا سألته: هل تذكر طالباً أعطيته ريالاً لأنه أجاب كذا وكذا؟! بعدما تذكر وتأمل قال المدرس ضاحكاً: نعم نعم، وهل أنت تبحث عني لترد لي ريالاً؟!!

قلت له: نعم، وبعد نقاش أركبته السياره معي وذهبنا ووقفنا أمام ڤيلا جميلة، ونزلنا ودخلنا فقلت له: ياأستاذي الفاضل، هذه الڤيلا هي سداد دينك مع هذه السيارة وأي راتب تطلبه مدى الحياة، وتوظيف ابنك في المؤسسة !! ذهل المدرس وقال: لكن هذا كثير جداً، فقلت له: صدقني أن فرحتي بريالك وقتها أكبر بكثير من حصولي الآن على ١٠ ڤلل مثل هذه، وما زلت لا أنسى تلك الفرحة

هل خطر ببال هذا المعلم أن هذا الريال الذي أسعد به طفلاً صغيراً سيعود إليه في أقسى لحظات حياته بأضعاف لا

حثر لها؟ إنها التجاره مع الله، اعمل الخير فحتماً لن يضـــــيع عند الله ويوماً ما ســــتجده، اصـــنعوا المعروف مع طلابكم، ولا تنسوا معلميكم الذين صنعوا يوماً ما معروفاً معكم.

□

نجح وتفوق بسبب معلمه

دخل معلم مكان معلم آخر قد غادر لإكمال دراسته العليا، بدأ في شرح الدرس وسأل سؤالا لطالب من الطلاب، فضحك جميع الطلاب لجوابه، ذهل المعلم وأخذته الحيرة والدهشة من ضحك الطلاب، لكن خبرته التدريسية علمته أن وراء الأكمة ما وراءها، أدرك من خلال نظرات الطلاب سر الضحك وأن الطلاب يضحكون لوقوع السؤال على طالب غبي في نظرهم.

خرج الطلاب نادى المعلم الطالب واختلى به وكتب له بيتاً من الشعر على ورقة وناولها إياه، وقال: يجب أن تحفظ هذا البيت حفظاً كحفظ اسمك ولا تخبر أحداً بذلك، في اليوم التالي كتب المعلم بيت الشعر على السبورة وقام بشرحه مبيناً فيه المعاني والبلاغة، ثم مسح البيت، وقال للطلاب: من منكم حفظ البيت يرفع يده، لم يرفع أي طالب يده باستثناء ذلك الطالب، رفع يده باستحياء وتردد، قال المدرس للطالب أجب، فأجاب الطالب بتلعثم وعلى الفور أثنى عليه المعلم ثناءً عطراً وأمر الطلاب بالتصفيق له، والطلاب بين مذهول ومتعجب ومستغرب

تكرر المشهد خلال أسبوع بأساليب مختلفة وتكرر المدح والإطراء من المعلم والتصفيق الحاد من الطلاب، وبدأت نظرة الطلاب

تتغير نحو الطالب، وفي المقابل بدأت نفسية الطالب تتغير للأفضل، وبدأ يثق بنفسه ويرى أنه غير غبي - كما كان يصفه معلمه السابق.

شعر بقدرته على منافسة زملائه بل والتفوق عليهم، ثقته بنفسه دفعته إلى الاجتهاد والمثابرة والمنافسة والاعتماد على الذات، اقترب موعد الاختبارات النهائية، اجتهد، ثابر، نجح في كافة المواد، ودخل المرحلة الثانوية بثقة أكثر وهمة عالية، زاد تفوقه، وحصل على معدل أهله لدخول الجامعة، وأنهى الجامعة بتفوق، وواصل دراسته وحصل على الماجستير والدكتوراة وأصبح عالماً في مجال الفيزياء

- هذه قصة نجاح كتبها الطالب بنفسه في إحدى الصحف داعياً لمدرسه صاحب بيت الشعر أن يثيبه الله خير الثواب.

المعلمون نوعان: نوع مفتاح للخير، يحفز، يشجع، يأخذ بيدك الطالب، يمنحه الأمل والتفاؤل، يشعر بشعوره، صاحب مبدأ ورسالة، نوع آخر محطم، مثبط، قنوط، ليس له مهمة سوى وضع العراقيل والعقبات أمام كل طالب، دأبه الشكوى والتذمر والضجر وندب الحظ، الطالب كان ضحية النوع الثاني من المعلمين، لكن عناية الله سخرت له مدرساً من النوع الأول، فكتب له النجاح في دراسته.

أيها المعلم: إن لم تكن من النوع الأول - وهو ما يفترض أن تكون - فلا تكن من النوع الثاني، فالهدم أسهل من البناء، ورب معلم أودى بحياة طالب ومستواه الدراسي بسبب تحطيم الطلاب والتقليل من مستواهم.

درس الشافعي لابن الخليفة

اشتهر الإمام الشافعي بين قومه بالذكاء والفطنة وسعة العلم، هذه الصـــفات التي جعلته إمامًا وعالمًا جليلًا، ففي العراق علا نجم الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وعلم الجميع قدره حيث وصـل صـيته إلى الخليفة هارون الرشـيد، ولأن هارون الرشـيد كان من تلاميذ الإمام مالك بن أنس أسـتاذ الشـافعي، فقد كان حريصـــاً على أن ينهل ابنه من نفس النبع الذي نهل منه نبع العلم، وهكذا أرســل ابنه للإمام الشــافعي، وكان الدرس الذي أعطاه الشافعي لابن الخليفة درسًا عجيبًا.

تبدأ القصـة بدخول الغلام على الإمام الشـافعي قائلًا: السـلام عليكم يا إمام، فرد الإمام قائلًا: وعليكم الســـلام ورحمة الله، وبعدها بدأ الإمام الشـافعي درسـه مع ابن الخليفة، ولكن بشـيء عجيب فقد ضـرب ابن الخليفة، صـُدم الطفل حينها وقال: ما هذا؟ رد عليه الإمام قائلًا: لقد انتهيت هذا درســــك الأول، يمكنك الانصــراف فعاد الابن إلى أبيه متعجبًا وحزينًا، فماذا كان رد فعل الأب الخليفة عندما سمع ما قصه ابنه عليه؟

لقد قال الخليفة أنا لا أصـدق، لا بد أنك فعلت شـيئًا أغضـبه، نفى الابن للأب أنه قد يكون فعل شــــيئًا للإمام، وقال : أنا لم أنطق بكلمة واحدة، فقال الأب: ربما ســألك يا بني ولم تنطق

فضـربك، قال الابن: لا لم يسـألني إلا سـؤالاً واحداً، فقد نظر إليّ وسـألني إن كنت ابن الخليفة ثم ضـربني دون سبب، حينها قال الخليفة: هذا أمرٌ لا يمكن السـكوت عليه، واقترح الابن أن يأتي الخليفة بالإمام ويسـأله عن ذلك الأمر ولماذا فعل ذلك؟ قـال: لا يـا بني لقـد تعلمـت من معلمي مـالـك بن أنس أن للمعلمين قدرهم، لا بد أن الإمام الشافعي فعل ذلك لسبب.

بعد ذلك ذهب الخليفة إلى بيت الإمام وحده، فقال الخليفة للإمام: أتعرف السـبب الذي أتى بي إلى هنا؟ فرد الإمام: نعم لقد توقعت هذه الزيارة وانتظرتها، فقال الخليفة: هل أغضبك ابني فضـربته؟ قال الإمام: لم يفعل شـيئًا، إنه فتى حسـن الأخلاق، هنا قال الخليفة: أنا متأكد أنك لم تفعل هذا إلا لحكمة، هل لي أن أعرفها؟ فنادى الإمام على ابن الخليفة قائلًا: تعال يا بني إلى جنبي، فجلس الفتى مطيعًا لأمر الإمام.

فقال الإمام للفتى الصغير: لقد ظلمتك وضربتك دون سبب، رد الفتى: بلى، وأريد أن أعرف السبب، قال الإمام الشافعي: أنت ابن الخليفة وعندما تكبر سوف تصبح خليفة إن شاء الله، ولقد ضـربتك حتى تعرف معنى الظلم، فإذا كبرت لا تظلم أحداً، وهذا أول درس لك عندي.

ليس الهدف من القصـــــة أن نعرف كيف تعامل الإمام الشـــافعي مع ابن الخليفة، وإنما الفائدة في أن المعلم الفطن يختار التعلم المناسـب لطلابه لما يتناسـب مع سـنه وطبيعته وتوجهه، وهو ما يســمى بتفريد التعليم، حيث يُعطى الطالب التعلم الـذي هو بحـاجـة إليـه بعيـداً عن التعلم العـام الـذي يشـترك فيه الجميع، وليس المطلوب أن يقوم المعلم بتخصـيص دروس لكل طالب، وإنما يخصـص النصـائح والتوجيهات لكل طالب بما يتناسب معه.

توقيع تلميذك ماجد

لفهم هذه القصة؛ اقرأ القصة رقم (٧)

t.me/TeachOnly/4777

طفل يتيم فقد والده وهو في أشهره الأولى، شبَّ ودرج عند أخواله، لم يعرف قاموسه اللغوي عبارات كان يرددها أقرانه !! فحينما يتشاكس مع غيره تنهمر دموعه ويقول: (والله لأخبرن أمي) بينما يقول الآخرون : (والله لأخبرن أبي).

مرت السنوات ووالدتي تقوم بدورين دور الأب ودور الأم معاً، وفي أول يوم دراسي أمسكت والدتي بيدي وذهبنا إلى المدرسة وهي تهمهم طوال الطريق لم أفقه من همهمتها إلا (الذي لا تضيع الودائع عنده)، ودعتني عند باب المدرسة ورجعت للبيت.

دخلت المدرسة لأول مرة، وفي تلك السنوات كان الأسبوع التمهيدي في أول سنوات تطبيقه، كل طفل بجواره والده يشجعه إلا أنا وقفت وحيداً لا أدري ما الله صانع بي، لكن ما كانت تهمهم به والدتي بدأ مفعوله، فقد سار نحوي رجل وأخذ بيدي، سأل عن اسمي، فأجبته، سأل عن والدي أين هو؟ ببراءة الطفولة قلت: ما عندنا أب !! تقول أمي أنه مسافر، كتب اسمي على بطاقة وعلقها على صدري، إنَّ ذلك الرجل هو أنت

أســــــتاذي الكريم !! كنتَ تظن أنَّ بداية قصـــــتي معك هي المســـبحة، لا والله إنَّ البداية من أول لقاء، فالانطباع الأولي هو الذي الذي يترسخ بالذهن سواءً كان انطباعًا جميلاً أو قبيحاً، وهذا الانطباع يصـــعب تغييره مهما حاولنا ترميم ما حدث في أول لقاء، أما قصـة المسبحة فهي واحدة من حيل الطفولة التي كنت أحتال عليك حينما أشـــــــعر بحاجتي إلى جرعة من أبوتك !! سـأفصح لك بعد تلك السـنوات عن بعض سـيرتي معك، كنت أتعمد أحياناً الوقوع في الخطأ في درس المطالعة مع معرفتي الجيـدة لهـا، وكثيرًا مـا أقوم من مقعـدي وأتجـه إليك في مكانك لأسـأل عن صـحة ما كتبت مع يقيني أنَّ ماكتبه صـــحيحاً، بل كم يوم حطمت ســـن القلم كي أقوم بإصـــلاحه بالبراية الكبيرة المثبتة في زاوية مكتبك، صـــنعت ذلك كله من أجل أنْ أقترب منك فأشعر بدفء حرارة أبوتك

ختامًا: درســـت على أســـاتذة كثر من المرحلة الابتدائية مرورًا بالمرحلتين المتوســــــطة والثانوية وأخيرًا في المرحلة الجامعية وصـــورتك الجميلة ماثلة أمام عيني، وكلماتك الأبوية وقود لمواصـلة مشـوار الحياة، أسـأل الله أنْ يرزقك الفردوس الأعلى من الجنة على وقوفك معي وتشجيعك.

التوقيع: تلميذك بل ابنك (ماجد)

من فشل إلى تفوق

خرج الطالب ليتكلم أمام الجمهور عن تجربته العجيبة، يقول ذلك الشاب: كنت أرى نفسي طالباً فاشلاً، فدرجاتي متدنية، والرسوب في المواد ديدني، والنجاح على الحافة، فأصبح سلوكي سلبياً لأسباب عدة، وبدأت أرادد المعلمين، وطال لساني وأحيانا يدي على زملائي، وأخذت أتهرب من الحصص، واتجهت الى التدخين، وأضحت نفسيّتي لا تطاق، وأمسيت أشعر بأنه لا فائدة من دراستي، ولا فائدة مني لكثرة المشاكل التي حصلت لي

صُدم الحضور بهذا الطرح السلبي والنموذج الغريب الذي جاء ليتكلم عن تجربته الفاشلة – كما قال – أمام عشرات الطلبة والمعلمين والمسؤولين والآباء، واستغربت إدارة الملتقى الثقافي التربوي اختيار المدرسة المشاركة لهذا الطالب! فكانت الإجابة فيما ذكره الطالب لاحقاً، فماذا قال يا ترى؟

توقف الطالب عن الحديث ليأخذ نفسا عميقا، ثم استكمل الحديث عن تجربته قائلا: بعد هذه الحياة السلبية، جاء إلينا مدير مدرسة جديد، كان شديدا حازما، جاداً لا يعرف الابتسامة، وبدأ بوضع قوانين الضبط والربط التي لم نكن متعودين عليها، فقاومنا تلك القرارات، فاقترب منا واستوعبنا، وأخذ يتعرف علينا واحدا تلو الآخر بشكل عجيب، ودرس حالتنا دون أن نعلم،

واستدعى أولياء أمورنا، ثم وضع برنامجا خاصا لكل واحد منا بشكل ذكي، واستبعد من رأى أنهم قادة المشاكل ونقلهم الى مدارس أخرى، وأخذ يتقرب منا شيئا فشيئا، وتعرف على هواية كل واحد وشجعه فيها، بل ودعمه معنويا وماديا، حتى شعرنا أنه واحد منا، فلم يكن مستعليا ولا عنيفا، فأحببناه وتقبلنا عقوباته التأديبية برحابة وقناعة، حتى انتهى من ضبط الجانب السلوكي بشكل كبير جدا.

تحول معها وبخط مواز للارتقاء بنا تعليميا، فتابع معلمينا بشكل شخصي، وشعرنا باهتمام تربوي غير مسبوق، ووضع لكل طالب متعثر خطة في البيت والمدرسة، واستطعنا تجاوز السقوط إلى النجاح، وما هي إلا أيام حتى أصبحنا ننافس على التفوق.

تغيرت نفسياتنا، ونسينا شيئا اسمه "إحباط"، وأحببنا المدرسة، وتعودنا على النظام، وتعلمنا احترام الآخرين من معلمين وزملاء، وارتقينا في طموحاتنا، والآن أنا أشعر بفضل الله ثم بفضل هذا المدير بأنني شخص ناجح، ولي قيمة في المجتمع، وبدأت أخطط للدراسة الجامعية بعد ارتفاع معدلي، وهدفي الطموح هو رئاسة مجلس الأمة.

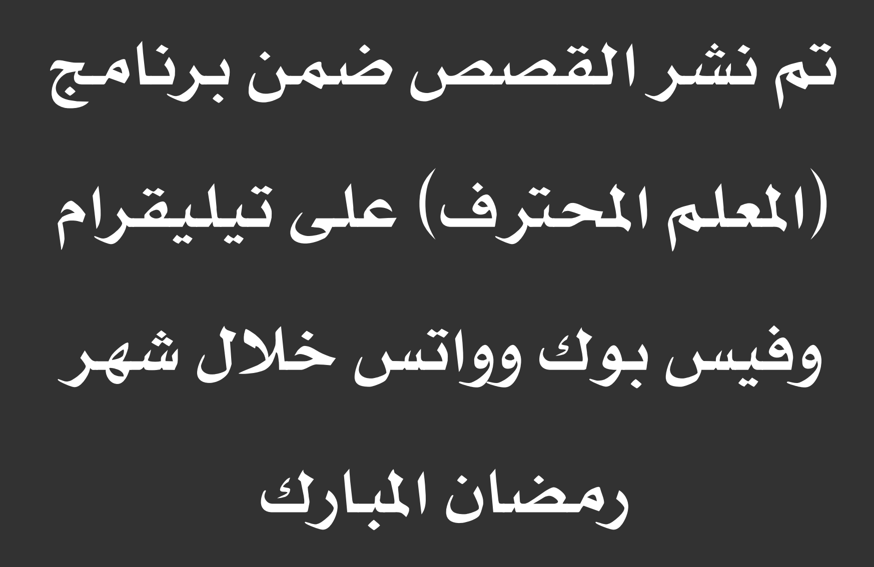
انتهى حديث الطالب الذي قوبل بتصفيق حار من الجمهور، واتجه إلى مدير المدرسة الذي جلس بكل تواضع بالخلف بين الطلبة، وقبل رأسه ويده ودموعه تنهمر، وعانقه بحرارة، لأنه أكثر شخص شعر بالتغير وأنقذه من عالم الفشل إلى عالم النجاح.

هذا نموذج من عشـرات الآلاف من الطلبة الذين يواجهون كل يوم ظروفا تربوية وبيئية وســلوكية واجتماعية مختلفة، بدءا من البيت والحي والأصدقاء والأقرباء ووسائل الإعلام والاتصال الاجتماعي، مرورا بـدلال الطفولـة وحرارة المراهقـة، وانتهـاء بالمدرســـــة وأنظمتها ومعلميها وإدارتها، وظروفهم الاجتماعية والاقتصــــادية، وخلفياتهم الثقافية والفكرية التي أتوا بها، بلا شــــك ســـيتكون لدينا خليط عجيب من الأثر الســـــلوكي والقيمي، وتبقى الإدارة التربوية الناجحة القادرة على الفصــل بين تلـك العوامـل، وحمـايـة المعلمين والطلبـة من المؤثرات الخارجية، وتوجيهها بشكل إيجابي.

د. عصام عبداللطيف الفليج

تنويه

تم نشر القصص ضمن برنامج (المعلم المحترف) على تيليقرام وفيس بوك وواتس خلال شهر رمضان.





ينابيع تربوية YanabeeTa.com

مجتمعٌ تربويٌ على الشبكاتِ الاجتماعية، يقدمُ محتوىً توعوياً في مجالِ الأسرةِ والتربيةِ والتعليمِ من خلالِ العديدِ من البرامجِ والأنشطة، تأسسَ مطلعَ العامِ ٢٠١٥ م.